بنشر قواتهم على ذلك الخط الطويل بل أوفدوا قوة ستر مؤلفة من فوج أهلي وفصيلة مدفعية الى جنوبي « مكلة » في مرحلتين الى (امبا ـ الاغي)

وفي نهاية السنة هاجم الأحباش هذا الموقع فدافعت القوة دفاعا مستميتاً ، ولم يتلق آمرها أمر الانسحاب إلا متأخراً بعد أن قضى الأحباش على قوته وغنموا مدفعيته ، بينما كان الموقف يتطلب أن يبلغ هذا الآمر واجبه الأصلي وهو الدفاع الرجعي دون دخول قتال فاصل

وكانت القوة الحبشية مؤلفة من ٣٠٫٠٠٠ رجل يقودها الرأس « ماكونين » والد الرأس « تفري »

وكان الجنرال « اريموندي » بكوكبه (بقسمه الأكبر) في مكلة ، ولما تيقن أن الأحباش سوف يهاجمونه وأنه لا يستطيع الدفاع أمامهم قرر الانسحاب ، فانسحب بسرعة الى « اداجاموس » ثم إلى « ادجرات » وترك في مكلة فوجاً أهلياً مع مدفع جبلي فقط

أما النجاشي منليك فكان مهتما بجمع الجيش ليملي إرادته على الطليان ويهيء سبيل الخلاص لبلاده . وبعد أن جمع المال المطلوب من مقاطعة التالا ، وأنجد جيشه بخيالة التالا ، وصل إلى اديس أبابا وأعلن إلى الجميع أن الحبشة لا تحتاج إلى أحد بل عديدها إلى الله ، فتولى قيادة جيشه بنفسه وجمع جميع الرؤوس في « روميدا » وصرح لهم ولجميع المشايخ والأشراف برغبته في طرد الطليان من البلاد وانقاذها من مخالب الاستعمار . فوافقه الرؤوس على ذلك بالاجماع ، وكان المشهد مما يثير الحماسة في الصدور ، وكانت قوة الجيش الحبشي مع قوة جيش « ماكونين » تبلغ ١٦٠٫٠٠٠ رجل . فحاصر ماكونين قلعة مكلة وأخذ يدكها بنار مدافعه ، وقطع عليها طرق الماء . فاضطرها إلى التسليم في ٢٥ ديسمبر ١٨٩٦ ووافق النجاشي على عودة الأسرى الطليان الى بلادهم لينشروا الرعب في قلوب الطليان الآخرين

ولما انتشرت أخبار انتصار الأحباش في المستعمرة ساد القلق والرعب في قلوب الناس ، وفكر الطليان في الدفاع عن ميناء مصوع أيضاً . وقررت القيادة حشد جميع القوات في ادجرات لصد تقدم الأحباش ما عدا الحاميتين اللتين في كرن وكسلا ، وكانت قوة الحامية منها مؤلفة من فوج وسرية خيالة وفصيل مدفعية

(يتبع) طه الهاشمي

مؤتمر القلوب

للأستاذ السيد محمد زيادة

سألت نفسي بعد تأمل وتفكير : « ماذا يكون لو أمكن كلَّ إنسان أن ينكمش حتى يختفي في قلبه ، وأمكن قلبه أن يتسع حتى يحويه ؛ فيظهر للناس عارياً لا يكسوه إلا الشفاف ، ويصبح الشخصُ المنطوي على قلب قلباً منطوياً على شخص ، وتمشي القلوب وتتنقل ، وتدب حيث تحب ؟ أتنكشف السرائر ، وتسفر الخفايا ، وتباح الأسرار ؛ ويستطيع كل قلب أن يعرف ما له عند الآخر بغير حاجة الى رسول بينهما قد يصدق وقد يكذب ، ويتبين المرء ما يكنُّه له حبيبه أو صديقه خاليا من الزيف والرياء ؟ »

وكان سؤالا غريبا جديدا ، فحيرني الجواب عليه ؛ ثم رأيتني في الرؤيا أجرب هذا ... فانقبضتْ أطراف الى بدني ، وانحصر بدني في قلبي ، فأصبحت قلبا ومضيت لشؤوني في الحياة ؛ ووجدتني مقبلا عليها بتلهف وشوق كما يقبل على الحرية سجين أطلقوه . فهو يندفع اليها بقوة ، ويتقلب على رحبها بشغف ، كأنه يريد أن يجتني فيها فيملأها . وهي تتلقاه هاشة باشة ، وتتفتح له حيث اتجه ، وكأنها تريد أن تمتزج بها فيصير منها

ثم وجدتني هنا وهناك طلقاً موزعا متحيرا لا أستقر ، ولا أعرف كيف أستقر ، ولا أفهم معنى الاستقرار . وزعمت أنني لم أوجد في الحياة الا لأتحسس الجمال وأتلمس الحب ، وخيِّل إلي وهمي أن الجمال في كل لحظة يناديني ، وأن الحب في كل بقعة ينتظرني ؛ فجننتُ بالجمال والحب ، وحلقتُ في سمائهما بأجنحة الخيال حتى كدت أتحطم أو تحطمتُ . . بين شقاء يجرني اليه الهجر ، وشقاء يجرني اليه الوصال

ورأيت العيون من حولي تلهمني بنظرات هي التعجب والاستغراب ، وكأنها تتخاطب قائلة : « ما لهذا القلب لا يهدأ ؟ » حتى كادت تشعرني بأنني وحدي أسفق للجمال وأخفق بالحب . ولكني لم أحفل بالنظرات ولم أهب العيون ، وسرت في طريقي كما أنا قلباً مهوماً شديد الخفقان

ثم رأيتني مدعوًّا إلى مؤتمر دعيتْ اليه القلوب جميعا ؛

ففرحتُ بهذه الدعوة ونشطت إلى الائتمار . وتوافدنا نحن القلوب يسابق بعضنا بعضا ، ويحمل كل منا في أعماقه ما يحمل

* * *

فهذا قلب صاف لا رنق فيه ولا غبار عليه ؛ وهذا قلب درنٌ غلب على بعضه الدرنُ وغلب على بعضه النقاء ؛ وهذا قلب أسخمُ لم يبق فيه أثر لطبيعته ؛ وهذا قلب كبير ؛ وهذا قلب صغير

ووقفتُ أرنو إلى ذلك الحشد الحافل وأستمتع بما فيه من مشاهدَ غريبة كانت محجوبة عنيأو كنتُ محجوباً عنها ؛ وأخذ كلُّ قلب يتطلع إلى القلوب حوله ، ويستمتع استمتاعي وكأنه يحس ما أحسه من دَهَش يصحبه فرح ، ومن رَهَب تصحبه لذة

ورأيتُ على بعد غير سحيق من مكاني قلبا تقلص أديمُه ، وشاه مظهرُه ؛ فدلَّنا على باطن غاسق كالليل ؛ والقلوب كلها نافرة منه صادفة عنه ، كأنه قتاد يشوك من يقربه ، أو مخلوق وحشي يلتهم من يلمسه . وهو في مكانه يوزع عليها نظرات متمعضة ساخطة ملأى بالتمرد والتوعد . فسألتُ : « ماهذا القلب لا يجد منا صاحبا ولا نجد فيه أهلاً للصحبة ؟ » فقالوا : هذا قلب رجل لا يعيش إلا ليبثَّ الفساد بين قلوب عارفيه ، ولا يستريح حتى يشي بين صديقين متفقين ، أو يمكر ما بين حبيبين ناعمين ، أو يسيء إلى أحدٍ ما . فتراه يبتسم لهذا ، ويداعب ذاك ، ويوسوس إلى ذلك ؛ حاسباً أن في ابتسامته ودعابته ورياءه ستاراً لحقده وخبثه وخسته ؛ ولكن هيهات . . فكلنا يعرف ما في جوفه ، وكلنا يحتقره وينبذه ويلعنه ، وكلنا يود الآن لو يسحقه فيريح الوجود من وجوده

ورأيت في ناحية أخرى قلبا شفَّ لونه ، وأساءت سحنته ، فدلَّتنا على دخيلة بيضاء كالشمس ، والقلوب كلها — إلا ذلك القلب الذاكن وأمثاله — متهافتة عليه ، متوددة اليه ، تصافحه وتحييه ؛ فيصافحها ويلاقيها بتحيات زكيات ملأى بالبر والقناعة — فسألت : « ما لهذا القلب لا يجد منا قاليا ولا نجد منه داعيا للقلى ؟ » فقالوا : « هذا قلب رجل تقي كريم يعرف الله ويخشاه ، نصب نفسه لهداية الناس ، وقضى أيامه يجاهد الرذيلة ليحيي الفضيلة ، ويكره الشر ، ويحب الخير . فطالما سعى ليوفق بين صديقين مختلفين ، أو يصلح ما بين حبيبين ناعمين ، أو يحسن إلى أحدٍ ما ؛ فتراه يرشد هذا ، ويعلم ذاك ، وينتزع النواية من ذلك ، صادقا في كل ما قال وكل ما فعل ، مصلحاً أينما حل . فكلنا يعرف فضله ويقدره ويحترمه ويود لو يرفعه فيجعله في السماء

ولفتَ بصري قلبٌ غلا دمه ، وتصاعد البخار من فتحاته ، وكاد يندلع اللهب من جنباته ؛ حتى خلتُه ثَوراً تنصهر فيه جدرانُه جزءاً فجزءاً ، ويشتد أزيزه كلما استعر جوفه . يروح ويغدو بين القلوب هائجاً كالمشرَّد ، حائراً كالضال ، لا تفتر قواه ولا ينقطع خفوقه . فتساءلنا عما به فوجدناه قلب محب فارقه حبيبه فبرَّح به الشوق ، وأضناه الألم ؛ فهو ظمآن لهفان يبحث عنه بيننا عله يلقاه فينقع اللقاء غلته ، ويبرد لهفته . فقلت : آه ! ! ما أعظم سلطان الحب . . آمنت بأن في الحياة قلوباً تحار حيرتي وتكابد ما أكابد

وكان بين القلوب قلبٌ خالٍ كالبيضة إذا أفرختْ ، سافر كالمرأة إذا تهتكتْ ، باهت كالشمس إذا تنقبتْ بالسحاب . فكان أشبه شيء بالاسفنجة ؛ وأعجبني منظره الفاتر الخالي من كل قرائن الحياة ؛ لأنه شاذ بفتوره وخلوه منها ، وأخذتُ أراقبه مليا لأقف على سره لو كان لمثل هذا القلب سر ؛ فوجدته إمعة يظل ساكنا كالنائم فلا يتحرك حتى يحركه غيره ، ولا يتوجه حتى يوجهه غيره ، ولا يعمل إلا ما يملي عليه غيره

يدنو منه قلب من تلك القلوب السوداء هامساً موسوسا فلا يلبث حتى يسودَّ ويتشكل بشكله ، ثم يدنو منه قلب من تلك القلوب البيضاء الناصعة حدثاً مبشراً ، فلا يلبث حتى يبيضَّ ويتشكل بشكله ، وهكذا هو في كل أحواله مقود لا إرادة له ولا صفة

فسألتُ عنه فقيل لي : هذا قلب شاب ساذج أبله مغرور بنفسه ، مخدوع بغروره ، لم ينكبه الدهر ، ولم تكرثه العوادي ، فعاش كما تراه سليما من الشر ومن الخير ، بعيداً عن الحزن وعن الفرح ، وحسب أنه عاش كذلك برغبته وقدرته ، وأنه استطاع أن يهزأ بالأحداث لأنه فوق متناولها ؛ ولم يعرف أن الله خلقه ضعيفاً فأنكره الدهر ، وهزأت بوجوده الأحداث

ووقع بصري على قلب تراه واقفاً فلا تحسبه واقفاً لنأبه على القلق والتوثب ، ولا تفهم من خفقاته المتواصل معنى خفقان القلوب . وإنما تفهم معنى الجبروت والصولة والعربدة ! ! ينظر

اليناشزرا ويتطلع إلى محيطنا باستخفاف ؛ ثم يصرف عنا بصره ويتطلع إلى أبعد من محيطنا باستخفاف ؛ كأنه لا يشعر بنا وكأنه يعتبر الكون أضيق من أن يسع قوته وعظمته ، فلا يروح ولا يغدو إلا فى تيه وخيلاء ، ولا يقف إلا وقفة المتمرد المتحفز ، وهو مع هذا أبكم ، أصم ، أعمى ، كافر ، لا يؤمن بالرحمة ، قاس لا يعرف الآلام ؛ فهو أشبه شيء بكرة من الحديد

قلت : قلب من هذا القلب القوى المتكبر ؟ قالوا : قلب رجل شجاع جبار لا يهاب الصعاب ، ولا يرضى الاستكانة ، ولا يعرف التسامح ، مفطور على الكبر والعظمة واستصغار الكبائر ؛ واستضعاف الأقوياء ، واستعباد الضعفاء . فهو يعتقد أنه مخلوق للغلبة والانتصار

***

ونظرتُ على يمينى فرأيت قلبا استحق منى أن أطيل النظر اليه لما هو فيه من هم وكآبة ، وقطعت فترة طويلة من الوقت شاخصاً إليه ، متأملاً مشفقاً وأنا أحس أنه بائس وأن بينى وبينه صلة من البؤس مهما يكن بؤسُه ثم ملت اليه وسألته : ماذا بك أيها القلب الحزين الباكى ، ومالى أراك ساكنا ساكنا ... تبدو فى سكونك كاليائس المقشعر من يأسه ، وكأن بك تستكثر على نفسك أن تعيش لأنك برم بالعيش ! ! إنك منا ولكنك غريب عنا ؛ لا تخالطنا كما نتخالط ولا تحادثنا كما نتحادث ؛ فما رأيتك منذ رأيتك إلا زافراً تكبت الزفرات ، أو مستعبراً تخبأ العبرات ، وأحسبك تكبتَ فى حب فمشت فى ذكرياته ، وأن تلك الذكريات التى وصلتْ ما بينك وبين الماضى قطعت ما بينك وبين الحاضر : فماذا بك ، وقلب من أنت ؟

فانتفخ ، ثم صعدت من فوهته زفرة ملتهبة ، ثم صمت قليلا ، ثم رنا إلىّ طويلا ، ثم قال : دعنى لمأساتى فالقلب لا يحرق إلا من ألق فيه

قلت : ولكنى أريد أن أعرف مأساتك ؛ فعسى أن أعينك أو أواسيك أو أتوجع لك

فصعدت من فوهته زفرة أخرى وقال : أواه ... هذا شعور جديد فى الحياة أو جديد فى حياتى أنا فقط ، وهذه كلمات لم أسمع مثلها منذ حين . فيالك من قلب طيب !

إن مأساتى هى أننى بحياتى مأساة فى الحياة !! لقد كنت محبا واليوم قد مات الحب ، بل أنا محب ؛ كنت هانئا ، واليوم قد مات الهناء ... بالأمس كنت قلب فتاة عذراء مؤمنة ، واليوم أنا قلب امرأة متخالعة متماجنة ... امرأة مومس أقبلت على الدعارة مكرهة ، ثم مستسلمة ، ثم راضية ، ... امرأة ساقطة تبيع عرضها فى سوق الفجور (الرسمى) كل يوم لكل من يدفع الثمن ...

مسكينة هذه البائسة المجروحة التى تحملنى بين حناياها بائساً مجروحا ! ! إنها تحاول كثيراً أن تسكتنى وتخفينى ، ولو استطاعت لقطعت ما بينى وبينها من شؤون وصلات ، لتخلو لشؤون وصلات ذلك العالم الداعر الكافر الذى تعيش فيه بين ذبّاحى الانسانية وهدّامى البشرية ، وأنا فى صدرها ألتاع وأتألم وأبكي وليست لى دموع إلا الدماء أستوردها من بدنها فيهزل قوامها ، وهزال قوامها يذبل شبابها ، وذبول شبابها يضيع جمالها ، وجمالها هو حياتها الفانية التى لا خير فيها

الرجال يحدثونها دائماً عن مواضع الفتنة ومواطن اللذات فيها ، فلا تسمع رجلا واحدا يحدثها عن مواطن الحسرة ومدافن الذكريات فى أعماق نفسها ، ويسألونها كل يوم عن شهوة بعد شهوة ، ولا يسألونها : أى حزن دخيل ثقيل تحملين ، وكيف تتعذبين !! إنها تضاحكهم وتداعبهم ترويحاً لخلاعتها بينما تباكينى وتناجينى تفريجاً لكآبتى ، وهى فى ذلك مضطرة إلى التظاهر بأنها امرأة بلا قلب ولا ضمير ، وإلا اتهموها بأنها تحمل قلباً حياً وضميراً مستيقظاً ، وعدوها بذلك خائنة لحرفتها غير حافظة لنعمتها

لقد حبستنى وحرمتْ على أن يسمعنى أو يشعر بى أحد ، وما جئت إلى هنا إلا خلسة منها . فهى الآن فى أحط أوقاتها بين أحط الرجال

ولكنى لا ألومها فأنا الجانى الأول عليها ، ... لقد قادنى الحب فقدتها أنا الى مهمه العواطف ، ثم قادتها العواطف المطلقة إلى مغانم الشهوات ، ثم قادتها الشهوات الغريرة الى مساقط الفساد ، ثم إلى الهاوية التى لا مقيل لها منها إلا الموت

وبكى وبكيت له ورحت أواسيه بالقول لأن مأساته أكبر من أن أعالجها بالعمل

(البقية فى العدد القادم)

السيد محمد زيادة